

أضواء البيان

@ 557 أذكر الرصيد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون وراءك ، فقال : أتريد لو كان سوء يكون بك يا أبا بكر ؟ قال : بلى ، فذاك أبي وأمي يا رسول الله ، ثم قال : إن أهلك أهلك وحدي ، وإن تهلك تهلك معك الدعوة) : فذاك عمه في جاهلية وليس على دينه صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه . { وَوَلَّيْنَاكَ خَيْرَ مَنْ خَيْرٍ لَكَ مِنْ الْوَالِيِّ } . خير تأتي مصدراً كقوله : إن ترك خيراً أي مالاً كثيراً ، وتأتي أفعل تفضيل محذوفة الهمزة ، وهي هنا أفعل تفضيل بدليل ذكر المقابل ، وذكر حرف من ، مما يدل على أنه سبحانه أعطاه في الدنيا خيرات كثيرة ، ولكن ما يكون له في الآخرة فهو خير وأفضل مما أعطاه في الدنيا ، ويوهم أن الآخرة خير له صلى الله عليه وسلم وحده من الأولى ، ولكن جاء النص على أنها خير للأبرار جميعاً ، وهو قوله تعالى : { وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلَّابِرَارِ } . .

وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه بيان الخيرية للأبرار عند الله ، أي يوم القيامة بما أعد لهم ، كما في قوله : { إِنَّ الْإِسْلَامَ بَرَارٌ لِّفِي نَعِيمٍ } ، وقوله : { إِنَّ الْإِسْلَامَ بَرَارٌ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا } . . أما بيان الخيرية هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبيان الخير في الدنيا أولاً ، ثم بيان الأفضل منه في الآخرة . .

أما في الدنيا المدلول عليه بأفعل التفضيل ، أي لدلالته على اشتراك الأمرين في الوصف ، وزيادة أحدهما على الآخر ، فقد أشار إليه في هذه السورة والتي بعدها ، ففي هذه السورة قوله تعالى : { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } ، أي منذ ولادته ونشأته ، ولقد تعهده الله سبحانه من صغره فصانه عن دنس الشرك ، وطهره وشق صدره ونقاه ، وكان رغم يتمه سيد شباب قريش ، حيث قال عمه عند خطبته خديجة لزواجه بها فقال : (فتى لا يعادله فتى من قريش ، حلماً وعقلاً وخلقاً ، إلا رجح عليه) . .

وقوله : { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى } . . على ما سيأتي بيانه كله ، فهي نعم يعددها تعالى عليه ، وهي من أعظم خيرات الدنيا